المحاضرة الثالثة : بحوث الصحافة : المفهوم و الوظائف و الأنواع

1- بحوث الصحافة: خلفية تاريخية

ترسّخ وجود وسائل الإعلام الاتصال في المجتمع بحيث أصبحت ضرورة يومية تقتضيها أبجديات الحياة اليومية للأفراد و الجماعات ، وعليه فإن النشاط البحثي المنظم الذي يُعنى بدراسة الظاهرة الإعلامية و الاتصالية أصبح ضرورة اجتماعية أيضا لما يحققه من أهداف متصلة بكشف حقيقة الظاهرة و واقعها و واقع العلاقات القائمة بين عناصرها من جهة و بينها وبين ما يحيط بها من ظواهر من جهة ثانية.

لقد اهتم الباحثون بدراسة الصحيفة، أعرق وسائل الإعلام[1]، منذ وقت مبكر. وقد تنوعت الدراسات و البحوث الصحفية بتنوع المجالات البحثية التي أتاحتها الصحيفة بوصفها وسيلة إعلامية ويذكر في هذا الإطار أن "بحوث الصحافة هي التي وضعت البذور الأولى التي أسهمت في نشأة مناهج البحث الإعلامي ... فمحاولة التعرف على الصحف وسبر أغوارها بأسلوب بحثي يحاكي الأسلوب العلمي الحديث يعود إلى سنة 1918 عندما وضع مؤلف أمريكي يدعى روجر كتابا رائدا في عالم الصحافة بعنوان بناء الصحيفة" (الحيزان،2004، ص:151) لتتوالى البحوث العلمية التي أسست لبحث الظاهرة الصحفية و لعل أبرز سمات هذا النوع من البحوث في تلك الفترة أنها اعتمدت مناهج البحث النوعية "و قد احتوى المجلد الأول من فصلية الصحافةjournalism quarterly التي تأسست سنة 1928 على مقالات عن قانون الصحف و تاريخها ، ومقارنات دولية ، و أخلاقيات الصحافة" (Wimmer and Dominick, 2011,p 252)و كلها دراسات اعتمدت أساليب البحث النوعية . لتستمر بعد ذلك الاهتمامات البحثية المتعلقة بالصحيفة و سبل تطويرها و الارتقاء بها ، فقد صدر مقال "لوليام بلاير ...سنة 1924 بعنوان المشاكل البحثية و تحليل الصحف الذي اقترح من خلاله قائمة من العناوين التي يمكن أن تشكل ساحة خصبة في ميدان البحوث الصحفية و مناهجها ، وكان من أهم تلك العناوين : تأثير الشكل و التصميم على السهولة و السرعة في قراءة الصحف ،تأثير مضمون الصحيفة على التوزيع، تحليل مضمون الصحف" (الحيزان،2004، ص:152) و قد ساهم هذا التوجه الجديد في بحوث الصحافة إلى اعتماد مناهج البحث الكمي، خاصة في ظل الشعبية التي حضي بها هذا التوجه البحثي لدى المعلنين من جهة و القائمين على المؤسسات

---

[1] تعتبر الصحيفة الوسيلة الإعلامية السائدة و المنفردة التي استأثرت بالمجال الإعلامي منذ اختراع المطبعة إلى غاية بداية القرن العشرين .

الصحفية من جهة ثانية ،فقد أثبتت المناهج الكمية ،في تلك الفترة، فاعليتها في دراسات الجمهور و المقروئية.ففي "عدد يونيو 1930 احتوت مجلة journalism quarterly مقالة لرالف نافزيجر Ralph Nafziger بعنوان مسح اهتمامات القراء في ماديسون و ويسكاونسون A Reader Interest Survey of Madison and Wisconsin و التي كانت نموذجا لمئات الدراسات البحثية فيما بعد. وقد شهد عام 1930 أيضا نشر العديد من الدراسات التي صُممت لتقييم نتائج إعلانات وسائل الإعلام المطبوعة و قد قاد هذا غلى دراسات في البحث التطبيقي حيث بدأت الكثير من الصحف بإجراء مسوح لقرائها" (Wimmer and Dominick, 2011,p 23)و مع انتشار تقنيات و أساليب البحث الكمي و ازدهارها تبنت بحوث الصحافة الاتجاه الامبريقي الكمي. في هذا الإطار ،عبر ولبر شرام عن ازدهار البحث الصحفي في مقاله Twenty years of journalism research الصادر بمجلة Public opinion quarterly سنة 1957 حين لاحظ أن البحث في هذا المجال خلال الفترة الممتدة من سنة 1952 إلى سنة 1956 قد تضاعف خمس مرات عمّا كان عليه في العشرين سنة السابقة لتلك الأعوام.

بحلول سنة 1960 ،و على هامش المنافسة بين الصحف و وسائل الإعلام السمعية البصرية (الراديو و التلفزيون) سعيا لجذب اهتمام الجمهور و بالتالي تحصيل عائدات الإعلان، ازدهرت بحوث القطاع الخاص فقد "بدأ مكتب الإعلان في جمعية ناشري الصحف الأمريكية Bureau of the American Newspaper Publisher Association بإجراء بحوث و دراسات حول مختلف جوانب الصحيفة و جمهورها" (Emery ,1950,p 154) و في سبعينيات القرن الماضي " تأسس مركز بحوث الأخبار News Research Center الذي كان يقدم تقارير عن نتائج الأبحاث لرؤساء تحرير الصحف ، و بدأت جمعية ناشري المجلات Magazine Pablishers association في نفس الوقت أيضا برعاية البحوث المسحية . وقد أدى اهتمام الأكاديميين المستمر في بحوث وسائل الإعلام المطبوعة إلى تأسيس مجلة البحوث الصحفية Research Journal Newspape في عام 1979 ، و هي منشور مكرس بالكامل للبحوث التي لها مضامين عملية حول إدارة الصحف"(Wimmer and Dominick, 2011,p 257)

2- ***مراحل تطور الدراسات الصحفية :***

يميز كل من Karin Wahl-Jorgensen و Thomas Hanitzsch بين أربع مراحل رئيسية في مسار تاريخ تطور الدراسات الصحفية هي:

1.2"مرحلة الاهتمام بالنظريات المعيارية : و هي المرحلة التي يطلق عليها تسمية مرحلة ما قبل التأريخ للدراسات الصحفية The Prehistory: Normative Theories : **و فيها اهتم الباحثون بدراسة الصحافة من زاوية معيارية بهدف استكشاف أدوارها في عمليات الاتصال الاجتماعي و إثارة النقاش السياسي دون السعي لبحث كيفية صناعة المحتوى و المتغيرات المؤثرة فيه.**

2.2مرحلة الاهتمام بالاتجاه الإمبريقي في الدراسات الصحفية The Empirical Turn: **حيث انتقل الاهتمام من المستوى النظري المعياري إلى المستوى الامبريقي الميداني ،ففي الخمسينيات من القرن الماضي اهتم الباحثون في الولايات المتحدة الأمريكية بدراسة الجمهور و قياس درجة تأثير وسائل الإعلام ،وفي مجال الصحافة كان الاهتمام منصبا على دراسة القائم بالاتصال و المتغيرات المؤثرة في ممارسته للمهنة.**

3.2مرحلة الاتجاه السوسيولوجي في الدراسات الصحفية The Sociological Turn : **حيث شهدت سبعينيات و ثمانينيات القرن الماضي تأثيرا كبيرا لعلم الاجتماع و الأنثروبولوجيا على الدراسات الصحفية حيث انتقل الاهتمام من بحث القيم المهنية للقائم بالاتصال و روتين ممارسته للمهنة إلى دراسة الأبعاد الاجتماعية و الثقافية للظاهرة الصحفية و تم التركيز على طرق صناعة و انتاج المحتوى الصحفي .**

4.2 مرحلة الدراسات العولمية و المقارنة The Global-Comparative Turn :

حيث عرفت التسعينيات تحولا نحو الدراسات العولمية و المقارنة بفعل التقارب غير المسبوق بين الباحثين المهتمين بدراسة الظاهرة الصحفية في إطار التغييرات السياسية العميقة و التطورات التكنولوجية المتسارعة" (Jorgensen and Hanitzsch, 2009,pp 05 06)

و لضبط الظاهرة الصحفية محل البحث العلمي في مجال تخصصنا ، يجدر بنا تعريف الصحافة في المستوى الأول و من ثم الضبط الدقيق لمفهوم البحث الصحفي .

3- ***تعريف الصحافة :***

تتعدد التعريفات التي يقدمها الباحثون الأكاديميون و الصحفيون المهنيون للصحافة حدَّ الاختلاف. و يعود ذلك إلى الاختلاف في اتجاه التعريف و مجاله و كذا السياق الذي ينتمي إليه

التعريف اللغوي : يعرف المعجم الوسيط الصحافة بأنها مهنة من يجمع الأخبار و ينشرها في صحيفة أو مجلة.

التعريف الاصطلاحي : تعرف الدكتور مي العبد الله الصحافة في كتابها المعجم في المفاهيم الحديثة للإعلام و الاتصال بأنها " المجال أو التخصص أو المهنة التي تقوم على جمع الأخبار و التحقق من مصداقيتها و تحريرها أو تحليلها و تقديمها للجمهور في الصحف اليومية أو الدورية في صفحات قد تكون سياسية ،اجتماعية ،اقتصادية ،ثقافية أو تربوية بناءَ على أسام الجريدة و القسم الذي يعمل ضمنه الصحفي" (العبد الله،2014، ص:186)

و يعرف الدكتور محمد عبد الحميد الصحافة من منظور البحث العلمي باعتبارها العملية الاجتماعية لنشر الأخبار و المعلومات الشارحة إلى جمهور القراء ، من خلال الصحف المطبوعة لتحقيق أهداف معينة"(عبد الحميد، محمد،1992، ص:23)و يقصد الباحث من خلال تعريفه للصحافة ، فتح آفاق دراسة الظاهرة الصحفية وفقا للاتجاهات الموضحة في التعريف على النحو التالي:

- الاتجاه الأول: التركيز على مفهوم العملية Process في إشارة إلى العلاقات التي تربط بين عناصر الظاهرة الصحفية و هو"ما يتفق مع عملية الاتصال الجماهيري التي تعتبر الصحيفة وسيلة من وسائلها ، و هذا يوجه الباحث إلى دراسة أطراف العملية الاتصالية ، و العلاقات بينها ، و الآثار المترتبة عن حركة هذه العملية و استمرارها"(عبد الحميد، محمد،1992، ص:23)
- الاتجاه الثاني: البعد الاجتماعي للصحافة: لابد من دراسة الظاهرة الصحفية ضمن النسق الاجتماعية و تنظيماته ، بحكم أنها تعمل في إطاره فتتأثر به و تؤثر فيه في نفس الوقت.
- الاتجاه الثالث :ربط الظاهرة الصحفية بالأهداف المحددة لها ، سواء تعلق الأمر بدراسة الأثر على مستوى الجمهور أو مدى تحقيق الأهداف المادية (الإعلان).

4- تعريف بحوث الصحافة :

يمكن تعريف بوث الصحافة بأنها " النشاط العلمي المنظم للكشف عن الحقائق المتصلة بالعملية الصحفية و أطرافها و العلاقات بينها و أهدافها، و السياقات الاجتماعية التي تتفاعل معها من أجل تحقيق هذه الأهداف و وصف هذه الحقائق و تفسيرها ، أو التوقع باتجاهات الحركة فيها"(عبد الحميد، محمد،1992، ص:24)

5- ***وظائف بحوث الصحافة:***

تضطلع بحوث الصحافة بأداء جملة من الوظائف أهمها :

- **الكشف عن واقع الظاهرة الصحفية و التعرف على خصائصها.**
- **التأسيس للمعرفة في المجال الصحفي من خلال دراسة عناصر العملية الصحفية.**
- **استثمار نتائج البحث في بناء الاستراتيجيات الإدارية و التخطيط للسياسات التحريرية .**
- **استكشاف طبيعة جمهور القراء و التعرف على خصائصهم و دوافع التعرض لديهم بهدف تلبيتها و تكييف المحتويات حسب متطلباتها.**
- **دراسة حركة العملية الصحفية و اتجاهاتها و العناصر المكونة لها ، مع تحليل العلاقات القائمة بين هذه العناصر.**
- **بحث مكانة العملية الصحفية في السياق الاجتماعي الذي تنتمي إليه ، و دراسة علاقتها بالأنساق و النظم الاجتماعية القائمة.**
- **التنبؤ بمستقبل حركة الظاهرة الصحفية من خلال بحث ودراسة العناصر المتجددة و المتغيرة.**
- **التحكم في حركة الظاهرة الصحفية و ضبط اتجاهاتها من خلال التنبؤ العلمي الذي يتأسس على وفرة المعلومات التي يتم تحصيلها عن طريق البحث و الدراسة العلمية .**
- **اختبار و تنقيح و تطوير أدوات و مناهج وأساليب البحث تماشيا و التطورات التي تعرفها الظاهرة الصحفية.**

6- *أنواع بحوث الصحافة :*

إن الضبط الدقيق لأنواع بحوث الصحافة يتطلب تحديدا أدق لمعايير التصنيف المعتمدة، ذلك أن التصنيفات الممكنة لهذا النوع من البحوث قد تتعدد و تختلف باختلاف معايير التصنيف. في هذا الإطار ، يمكن أن نعتمد التعريف المعتمد سلفا للصحافة باعتبارها عملية ،ليتم التركيز بذلك على عناصرها ليتسنى لنا تصنيف بحوث الصحافة إلى أنواع على النحو التالي:

1.6بحوث الرسالة الصحفية:

يندرج تحت هذا النوع من بحوث الصحافة عدد من الموضوعات أهمها:

1.1.6 بحوث المقروئية : و هي البحوث التي تهتم بدراسة درجة تمكن القارئ من قراءة و فهم و استيعاب و من ثم الاستمتاع بالمحتوى الصحفي

2.1.6 بحوث المحتوى : و تظم كل الدراسات التي تُعنى بتحليل المضمون الصحفي على اختلاف الأهداف البحثية التي قد يرمي الباحث إلى تحقيقها من خلال دراسة محتويات الصحيفة.

3.1.6 بحوث الشكل و التصميم : و هي البحوث التي ترتكز على الجوانب الشكلية للصحيفة و المتعلقة بتصميم الصحيفة و إخراجها ، و التي تُسلط الضوء على كيفية توزيع العناصر التيبوغرافية فتدرس أنواع العناوين و أشكالها و اتجاهاتها ،و حجم الخط و نوعه و طول الفقرات و استخدام الألوان، و الصور و مساحاتها و توزيعها و مساحات البياض في الصفحات ... الخ . وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى الاهتمام الذي حضي به هذا النوع من البحوث بانتقال الصحف الورقية إلى نشر محتوياتها على شبكة الأنترنيت و ظهور الصحافة الإلكترونية من خلال دراسة تأثير الخصائص التكنولوجية المستحدثة على شكل الصحيفة و أساليب تصميمها.

2.6بحوث مرسل المحتوى الصحفي:

يُمثل القائمون على صناعة المحتوى الصحفي مادة خصبة للبحث العلمي ، ويمكن حصر الدراسات التي يمكن إجراؤها في هذا النوع فيما يلي:

1.2.6بحوث الصحفيين المهنيين : تتمحور غالبية البحوث التي تُعنى بدراسة الصحفيين حول محاولة رصد المتغيرات المثرة في الممارسة المهنية للصحفي و

طبيعة تأثيرها و درجته مع الأخذ بعين الاعتبار المتغيرات الخاصة بالصحفي ذاته كمستواه التعليمي و خبرته المهنية و تخصصه ... إلخ

2.2.6بحوث إدارة المؤسسات الصحفية و ملكيتها :"تمثل حقبة الثمانينيات الميلادية من القرن الماضي الانطلاقة الحقيقة لنمو و تطور بحوث إدارة المؤسسات الصحفية و ملكيتها من قبل المتخصصين في مجال الإعلام " (الحيزان،2004م، ص:165) ولعل أبرز الموضوعات التي يتم الاهتمام بها في هذا النوع من البحوث هو دراسة الأنماط الإدارية السائدة في المؤسسات الإعلامية ، كما تصنف الدراسات المتعلقة بملكية وسائل الإعلام ضمن هذا النوع.

3.6بحوث متلقي المحتوى الصحفي:

و يتم التركيز في هذا النوع من البحوث على جمهور الصحيفة من القراء ،إضافة إلى أولئك الذين يحجمون عن القراءة سعيا للتعرف على خصائصهم بهدف استمالتهم ودفعهم للقراءة. و ينتمي إلى هذا النوع ما يلي :

1.3.6بحوث خصائص القراء: ويتم في هذا النوع من البحوث دراسة القراء بهدف التعرف على سماتهم المختلفة كمستويات الدخل لديهم و متوسط أعمارهم و مستواهم التعليمي إضافة إلى جنسهم و غيرها من المعلومات التي تساعد الصحيفة على تكوين صورة واضحة على جمهورها بما يساعدها على اتخاذ قرارات صائبة بشأن طبيعة الموضوعات التي يمكن أن تلبي احتياجات قرائها و هو ما يسهم في تحقيق هدفين مهمين يتمثل أولهما في العمل على زيادة حجم الجمهور و يظهر الثاني في استقطاب المعلنين من خلال تزويده بقاعدة بيانات واضحة حول حجم و سمات الفئات المستهدفة بالمادة الإعلانية.

2.3.6 قياس القرائية: و المقصود بقياس القرائية قيام الباحث بالتحقق من حجم قراءة الجمهور للمطبوعة و التعرف على سلوكه معها من خلال دراسة الفقرات التي تمت قراءتها ... و من المتغيرات الشائع استخدامها في الاستبانات التي تبحث في هذا الموضوع ما يلي:

. الصفحات التي تمت قراءتها
. مدة و وقت القراءة
. مكان القراءة

. مصدر الحصول على النسخة (الحيزان،2004) و يميز الباحثون بين أنواع عدة من بحوث قياس القرائية ، كبحوث صور (ملامح) القراء و هي النوع الذي يتم من خلاله دراسة السمات العامة لأفراد الجمهور و خصائص القراءة لديهم . و بحوث اختيار البنود ، و يُجيب هذا النوع من بحوث قياس القرائية على الأسئلة المتعلقة بمن يقرأ جزءً معينا من النسخة المطبوعة أو الإلكترونية من الصحيفة. إضافة إلى دراسات القارئ غير القارئ و الفئة المعنية بهذا النوع من الدراسات هي الفئة التي تُجيب بـ"لا" على سؤال هل تقرأ الصحيفة؟ و قد لقي هذا النوع من البحوث اهتماما خاصا بفعل سعي الصحف إلى تحديد قراء غير المطبوع و دفعهم إلى متابعة طبعة الصحيفة على الأنترنيت.

3.3.6دراسات التأثير : و هو نوع شائع من الدراسات في مجال الإعلام و الاتصال عامة و يثم إجراءه في مجال الصحافة المكتوبة حين يهتم الباحث بدراسة طبيعة تأثير الصحيفة على جمهور قرائها و توجهات الرأي لديه من خلال استثمار التراث النظري الثري في هذا المجال و المعروف بنظريات التأثير.